المحاضرة الخامسة

أَيْنَ خِيَارُكُمْ وَصُلَحَاؤُكُمْ ؟! وَأَيْنَ أَحْرَارُكُمْ وَسُمَحَاؤُكُمْ ، وَأَيْنَ الْمُتَوَرِّكُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ ، وَالْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ ، أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَمِيعاً عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ ، وَالْعَاجِلَةِ الْمُنَغِّصَةِ ، وَهَلْ خُلِّفْتُمْ إِلَّا فِي حُثَالَةٍ لَا تَلْتَقِي بِذَمِّهِمِ الشَّفَتَانِ ، اسْتِصْغَاراً لِقَدْرِهِمْ ، وَذَهَاباً عَنْ ذِكْرِهِمْ ، فَـ (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) ، ظَهَرَ الْفَسَادُ فَلَا مُنْكِرٌ مُغَيِّرٌ ، وَلَا زَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ . أَفَبِهَذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللَّهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ ، وَتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَائِهِ عِنْدَهُ ، هَيْهَاتَ ! لَا يُخْدَعُ اللَّهُ عَنْ جَنَّتِهِ ، وَلَا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ . لَعَنَ اللَّهُ الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ ، وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ .

معاني المفردات:

١ـ المتنزهون: المبتعدون عن المكروه المترفعون عن الدنايا

٢ـ ظعنوا: رحلوا

٣ـ المنغصة: من نغص عيشه، أي كدّره

٤ـ الحثالة: الرديء من كل شيء

٥ـ الذم: خلاف المدح، ذكر الأمور المعيبة

٦ـ ذهاباً عن ذكرهم: أي ترفعاً، وفلان يذهب بنفسه عن كذا أي يرفعها

٧ـ دار القدس: الجنة

شرح النص

(أَيْنَ خِيارُكُمْ وَصُلَحَاؤُكُمْ) قد كان الإمام يحب أن يرى المجتمع، كالمجتمع أيام الرّسول ص -كما تقدم في خطبة أخرى له - فإذ لم يرَ ذلك تأفف وتضجر، كما هو شأن المصلحين إذا رأوا خللاً في المجتمع تضجروا منه كثيراً لتألمهم بالخلل الجزئي لما ارتكزوا عليه من حب الإصلاح.

(وأَيْنَ أَحْرَارُكُمْ وَسُمَحَاؤُكُمْ) الأحرار جمع حر، والمراد المقيد بالشرف والوطن والدين، وقد سبق أن العبد لا يهمه الوطن ونحوه، لعدم ارتباطه به بجانب خاص، والسمحاء أهل السماح والفضل.

(وَأَيْنَ الْمُتَوَرِّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ) بهمهم الحلال ويتورعون -أي يجتنبون- عن الحرام.

(والْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ) يتنزهون ويبتعدون عن الشبهات في طرقهم الدينية والدنيوية.

(أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَمِيعاً عَنْ هذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ، وَالْعَاجِلَةِ الْمُنَغِّصَةِ) أي سافروا من هذه الدنيا الوضيعة والعاجلة والتي تنغص عيش الإنسان وتشوبه بالكدور والمرارة .

(وَهَلْ خُلِّفْتُمْ إلاَّ فِي حُثَالَةٍ لاَ تَلْتَقِي بِذَمِّهِمْ الشَّفَتَانِ، اسْتِصْغَاراً لِقَدْرِهِمْ، وَذَهَاباً عَنْ ذِكْرِهِمْ) أنتم المخاطبون، هل خلفتم إلا في جماعة من النّاس أنذال، فإنّ الحثالة بمعنى الرديء، (لاَ تَلْتَقِي بِذَمِّهِمْ الشَّفَتَانِ) فإنَّ المتكلم إذا أراد أن يتكلم تلاقت شفتاه، وهؤلاء لا يذمهم الإنسان لكثرة نذالتهم و(اسْتِصْغَاراً لِقَدْرِهِمْ) فإنَّه يحقرهم ويراهم أصغر حتّى من الذم، (وَذَهَاباً عَنْ ذِكْرِهِمْ) أي ابتعاداً حتّى من أن يذكرهم ويتلفظ باسمهم وبمثالهم.

(فَـ ﴿إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ﴾ فَلاَ مُنْكِرٌ مُغَيِّرٌ، وَلاَ زَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ) قد وقعنا في الفاجعة حيث عاصرنا مثل هؤلاء النّاس، وظهر الفساد والانحراف عند النّاس فلا لا أحد ينكر المنكر ويغيّره إلى المعروف ولا رادع للمنكر يرتدع هو بنفسه عن الآثام.

(أفَبِهذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ، وَتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَائِهِ عِنْدَهُ) أفبهذا العمل والخلق تريدون رضا الله ولطفه ومجاورته في الدار التي أعدّها مقدسة طاهرة من كل نقص وعيب، وتكونوا أعزّ أوليائه عنده، والاستفهام للإنكار والتوبيخ.

(هَيْهَاتَ) كلمة استبعاد، بمعنى لا يكون ذلك.

(لاَ يُخْدَعُ اللهُ عَنْ جَنَّتِهِ) بأن يخدعه الإنسان ببعض ظواهر يأتي بها لأخذ الجنّة.

(وَلاَ تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلاَّ بِطَاعَتِهِ) أي لا يدرك رضاه سبحانه إلا بطاعته وعبادته – مرضاته، مصدر ميمي بمعنى الرضا -

ولما ذكر قوله: (ولا زاجر مزدجر) عقب ذلك بقوله: **(لَعَنَ اللهُ الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ)** فعمله منكر، ويأمر بالمعروف، كما قال سبحانه: {كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ) وهذان من صفات المنافقين فإنهم يأمرون وينهون لعدم الصعوبة في ذلك لكنهم لا يأتمرون بما يأمرون ولا ينتهون عما ينهون لصعوبة العمل.